

## تفسير البحر المحيط

@ 422 @ .

ومثال ما في الآية قول الشاعر : % ( تهوى إلى مكة تبغي الهدى % .  
ما مؤمن الجن ككفارها .  
% ) .

. وقرأ مسلمة بن عبد □ : تهوى بضم التاء مبنياً للمفعول من أهوى المنقولة بهمزة  
التعدية من هوى اللازمة ، كأنه قيل : يسرع بها إليهم . وقرأ علي بن أبي طالب ، وزيد بن  
علي ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، ومجاهد : تهوى مضارع هوى بمعنى أحب ، ولما ضمن  
معنى النزوع والميل عدى بإلى . وارزقهم من الثمرات مع سكانهم وادياً ما فيه شيء منها  
بأن يجلب إليهم من البلاد كقوله : { يُجْدِي إِيَّاهُ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ } وروي عن  
مسلم بن محمد الطائفي أنه لما دعا عليه السلام بأن يرزق سكان مكة الثمرات ، بعث □  
جبريل عليه السلام فاقتلع بجناحه قطعه من فلسطين . وقيل : من الأردن فجاء بها ، وطاف بها  
حول البيت سبعاً ، ووضعها قريب مكة فهي الطائف . وبهذه القصة سميت وهي موضع ثقيف ،  
وبها أشجار وثمرات . وروى نحو منه عن ابن عباس . لعلمهم يشكرون . قال الزمخشري النعمة  
في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في وادٍ باب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء ، لا جرم أن  
□ عز وجل أجاب دعوة إبراهيم فجعله حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا  
، ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف ، وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً ،  
وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريها □ . بوادٍ غير ذي زرع وهي :  
اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والسيفية والخريفية في يوم واحد  
، وليس ذلك من آياته بعجيب . .

{ رَبَّنَا إِنَّا إِذْ نَعْلَمُ مَا نَخْفَى وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَيْنَا  
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ } : كرر النداء للتضرع  
والالتجاء ، ولا يظهر تفاوت بين إضافة رب إلى ياء المتكلم ، وبين إضافته إلى جمع المتكلم  
، وما نخفي وما نعلن عام فيما يخفونه وما يعلنونه . وقيل : ما نخفي من الوجد لما وقع  
بيننا من الفرقة ، وما نعلن من البكاء والدعاء . وقيل : ما نخفي من كآبة الافتراق ، وما  
نعلن مما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع : إلى من تكلنا ؟ قال : إلى □  
أكلكم . قالت : آ □ أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : لا نخشى تركتنا إلى كاف . والظاهر  
أن قوله : وما يخفى على □ من شيء في الأرض ولا في السماء ، من كلام إبراهيم لاكتناف ما

قبله وما بعده بكلام إبراهيم . لما ذكر أنه تعالى عمم ما يخفى هو ومن كنى عنه ، تمم جميع الأشياء ، وأنها غير خافية عنه تعالى . وقيل : وما يخفى الآية من كلام الله عز وجل تصديقا لإبراهيم عليه السلام كقوله تعالى : { وَكَذَلِكَ يَفْهَعُونَ } والظاهر أن هذه الجمل التي تكلم بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تقع منه في زمان واحد ، وإنما حكى الله ما وقع في أزمان مختلفة ، يدل على ذلك أن إسحاق لم يكن موجودا حالة دعائه ، إذ ترك هاجر والطفيل بمكة . فالظاهر أن حمله الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود إسحاق ، وعلى الكبر يدل على مطلق الكبر ، ولم يتعرض لتعيين المدة التي وهب له فيها ولداه . وروي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وولد له إسحاق وهو ابن مائة وثننتي عشرة سنة . وقيل : إسماعيل لأربع وستين ، وإسحاق لتسعين . وعن ابن جبير : لم يولد له إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة . وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة فيها بهبة الولد أعظم من حيث أن الكبر مظنة اليأس من الولد ، فإن مجيء الشيء بعد الإياس أحلى في النفس وأبهج لها . وعلى الكبر في موضع الحال لأنه قال : وأنا كبير ، وعلى علي بابها من الاستعلاء لكنه مجاز ، إذ الكبر معنى لا جرم يتكون ، وكأنه لما أسن وكبر صار مستعليا على الكبر . وقال الزمخشري : على في قوله على الكبر بمعنى مع ، كقوله :